الخط العربي نشأته وتطوره

للدكتور الطاهر أحمد مكي

هذا بحث (1) قيم خص به الاستاذ الجليل الدكتور الطاهر احمد مكي استاذ الادب الاندلسي في جامعة القاهرة ، مجلة « اللسان العربي » وحضرة الاستاذ ضليع في تاريخ الحضارة الاندلسية ومختلف معالمها .

فنحن ننشر هذه الدراسة الشيقة شاكرين :

... نحن نواجه قضية علمية لا بأس من اسقاط الروايات التي عجز أصحابها عن مواجهة المشكلة ، ولم يصبروا على محنة البحث ، فلاذوا بالاسطورة يجدون في رحابها التفسير والتعليل والرضا والراحة .

فالحروف العربية ، عند هؤلاء ، انزلت على آدم عليه السلام ، كتبها في طين وطبخه ، بين خطوط وكتب كثيرة ، قبل موته بثلثمائة سنة ، فلما اظل الغرق الارض اصاب كل قوم كتابهم . وقيل ان اول من وضعها اخنوخ ، وهو ادريس عليه السلام ، وقيل : « اول من كتب بالعربية اسماعيل » ، وان نفيسا ونصرا وتيما ودومة ابناءه وضعوا كتابا واحدا ، وجعلوه سطرا واحدا ، موصول الحروف كلها غير متفرق، ثم فرقه نبت وهميسع وقيذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر .

أما الشيخ شمس الدين بن الاكفاني فكان ، في كتابه « ارشاد القاصد » أكثر التصاقا بالارض ، وتحريا للواقع ، وايمانا بالانسان ، فهو الذي صنع الخط ، « وبه ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة الى الفعل ، وامتاز به عن سائر الحيوان ، وضبط الاموال ، وترتيب الاحوال ، وحفظ العلوم في الادوار ، واستمرارها على الاطوار ، وانتقال الاخبار من زمان الى زمان ، وحمل السر من مكان الى مكان » .

وكان ابن خلدون (ت 808 هـ = 1406 م) اول عالم ، عربي أو غير عربي ، ربط بين الحضارة وابتداع الخط ، بين اجادته وتقدمها ، ثم تتبع مسده داخل الجزيرة العربية : « انما يكون — الخط — بالتعليم ، وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب تكون جودة الخط في المدينة ، اذ هو من جملة الصنائع ، وقد قدمنا ان هذا شانها ، وانها تابعة للعمران ، ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يكتبون ولا يقرءون ، ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصرا ، وقراءته غير نافذة ، ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واحسن واسهل طريقا ، لاستحكام الصنعة فيها ، كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد ، وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط ، يلقون على المتعلم توانين واحكاما في وضع كل حرف ،

1) فصل من مقدمة كتاب « دراسة في مصادر الادب» الذي سوف تنشره دار المعارف في القاهرة خلال الاشهر القريبة .

ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه ، فتعتضد لديه رتبة العلم والحسن فى التعليم ؛ وتأتي ملكته على أتم الوجوه ، وانما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها، بكثرة العمران ، وانفساح الاعمال » .

« وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه » من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر، نسباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لقنته اهل الطائف وقريش فيما ذكر » . وصمت ابن خلدون ، احتراما لشرف الكلمة ، عندما غمت عليه نشأته ، فلم يشر الى الخطوات الاولى التي سبقت اتقانه وجودته عند اولئك وهؤلاء .

ولابن عباس رواية ، من بين روايات كثيرة تنسب اليه ، مؤداها : « أن أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان ، وبولان قبيلة من طيء ، نزلوا مدينة الانبار (1) ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ، ثم تاسوها على هجاء السريانية ، فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الاعجام ، ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر فى الناس وتداولوه » . وهي رواية الصناعة فيها واضحة ، والسجع الذي فى « مرة وسدرة وجدرة » يوحي بأنها شخصيات لا وجود لها الا فى مخيلة صانعها ، ويصعب على العقل أن يتصور ثلاثة من الغرباء ، التقوا عفوا او قصدا ، يمكن ان يبتدعوا ، ببساطة وفى زمن قصير ، ابجدية كاملة ، لكن الرواية تضم اشارتين لهما اهمية بالغة ، أولاهما ان الخط العربي ، فى بعض مراحله ، افاد من الرسم السرياني ، واخراهما أن الانبار كانت من بين مواطن تعليم الخط العربي واذاعته فى بقية انحاء الجزيرة العربية .

وتأتي روايات اخرى فتفصل ما اجمله ابن عباس فى هذه الرواية ، فقد تعلم بشر بن عبد الملك الكندي الخط فى الانبار ، ثم خرج الى مكة فى بعض شأنه ، وهناك اصهر الى بني أمية ، فتزوج الصهباء بنت حرب ابن امية ، وعلم اباها واخاها سفيان بن حرب الخط ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه معه عمر بن الخطاب ، ثم شاع الخط فى سائر قريش .

وثمة روايات أخرى تزيد الامر تحديدا ، فتجعل انتقال الخط من الانبار الى الحيرة ، ومن الحيرة الى داخل الجزيرة ، ودور الحيرة فى الادب العربي ، والحياة العقلية العربية ، واضحا ومعروفا ، اجمله ابن رسته فى كتابه « الاعلاق النفيسة » : « ان اهل الحيرة علموا قريشا الزندقة فى الجاهلية ، والكتابة فى صدر الاسلام » .

من الواضح اذن أن الخط العربي جاء الى الجزيرة العربية من خارجها ، من اطارفها ذات الحضارة المتقدمة ، والمتفاعلة مع ما جاورها من حضارات اكثر تقدما . ولم يتفق المؤرخون العرب على المكان الذي كان المصدر الاول ، ولا على اول ناقل له، وهو أمر طبيعي ، فالاقرب الى المنطق ، فى بيئة كانت، رغم صحاريها ، محور التقاء بين عدد من الحضارات، ومحطا للمسافرين من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، وتحترف التجارة او الحراسة او الوساطة بين كل هؤلاء ، ان تأخذ عنهم جميعا ، وان تقلدهم فيما يسبقونها ، وان يتم ذلك على ايد كثيرة ، تمثلته على آماد طويلة ، فكان لهم اخيرا رسمهم العربي المستقل .

تلك وجهة نظر العرب القدامى ، أما البحث الحديث فسلك بالامر وجهة اخرى . حاول أن يتتبع نشأة الابجديات فيما حول الجزيرة العربية نفسها ، وأن يستنطق ما عثر عليه من نقوش فى اطارفها ، ورغم النتائج العلمية التي توصل اليها ، فان الكلمة الفاصلة لا تزال فى انتظار المزيد من الحقائق ، لان كنوز قلب الجزيرة العربية المطمورة من الشواهد والمخلفات والآثار ، اذا ما اميط اللثام عنها ، يمكن أن تسد الفجوات القائمة فى النظريات الحديثة ، وأن تحول كثيرا من الظنون والشبهات الى يقين .

---

1) مدينة قديمة فى العراق ، على الشاطىء الايسر للفرات ، فى الشمال الشرقي من العراق فتحها خالد ابن الوليد عام 634 م .

كانت شبه‌جزيرة سيناء الملاصقة لوطن الانباط(1) مهد اقدم نقوش ابجدية حصل عليها حتى الآن . وهذه النقوش قد كشفت حديثا عند سرابيط الخادم ، ونقلت الى متحف القاهرة . وقد قامت عدة محاولات لفك طلاسمها ، وهذه الكتابة من صنع العمال من اهل سيناء فى مناجم الفيروز ، ويرجع تاريخها الى سنة 1850 قبل الميلاد ، اي انها أقدم بنحو ستة قرون من نقش احيرام ملك جبيل (2) ، والتي وجدها العالم الاثري بيير مونتيه P. Montet واعتبرت التالية لاقدم النقوش الفينيقية المعروفة .

وبعد تطور الابجدية السينائية نقلت حروفها الى شمال الشام ، ثم حولت هناك الى الحروف المسمارية الفعلية ، كما تدل على ذلك لوحات راس الشمرة ، التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن الواضح أن هذا الخط الذي كشف حديثا هو خط ابجدي سامي ، ورغم انه كتب بالقلم على لوحات من الفرين فان حروفه ليست مستعارة من الحروف السومرية الاكادية السابقة ، ففيه قد حولت الابجدية السينائية الى غرار الرموز (الوتدية) المسمارية .

ويرى العلماء المحدثون ان الكنعانيين ، وكانوا اول من استعمل طريقة للكتابة تستعمل فيها الحروف خالصة ، قد نقلوا طريقتهم فى الاصل عن الحروف الهيرو غليفية المصرية ، ولكن الهوة بين طريقتي الكتابة كانت دائما شاسعة ، فجاءت الكتابة السينائية الآن لتصل بين الكتابتين ، ولتكون الحلقة المفقودة بينهما . ونضرب لذلك مثلا فنقول ان السامي من اهل سيناء اخذ من الهيروغيلفية الرمز الذي شكله راس ثور (بصرف النظر عما يعني راس الثور فى اللغة المصرية) واطلق على راس الثور هذا فى لغته اسم « الف » ، ثم استعمل هذا الرمز ليدل وفق قواعد الاكرفونية على الصوت ، وبالطريقة نفسها اطلق على الرمز الذي يدل على البيت وسماه « بث » واستعمله للدلالة على الصوت (ب) وهكذا (3) .

والاصل السينائي للابجدية يشرح لنا كيف كان فى الامكان نقلها من ناحية الى جنوب بلاد العرب ، حيث مرت بتطور مستقل ، واستعملها المعينيون فى تاريخ ربما كان يرجع الى سنة 1200 ق . م . ومن ناحية اخرى كيف نقلت الى الشمال حيث الساحل الفينيقي ، ولقد نقلت الابجدية مع التجارة فى الفيروز الذي كان يبيعه العرب الى الفينيقيين ، كما انها بالمثل تماما نقلت مع التجارة من الفنيقيين الى اليونان ، واصبحت أم الابجديات جميعا (4) .

واقدم رسم عربي وصل الينا كان مشتقا من خط المسند (5) اليمني ، وهذا مشتق بدوره من الخط الكنعاني ، ووصل الينا فى نقوش تحمل ثلاثة انواع متقاربة منه ، عثر عليها فى منطقة واسعة فى شمال شبه الجزيرة العربية ، تمتد من دمشق حتى منطقة العلا ؛ هي النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية . والخط اللحياني لا يكاد يختلف عن خط المسند الذي اشتق منه ، ويسير مستعرضا من اليمين الى الشمال. والخط الثمودي مشتق منخط المسند ايضا، واتجاهاته غير ثابتة ، وغالبا يتجه من اعلى الى اسفل . والخط الصفوي يشبه الخط اللحياني غير انه مختلف الاتجاهات ، فتارة يقرا من اليمين الى الشمال واخرى من الشمال الى اليمين . وحروف الهجاء فيها كلها ترسم متفرقة ، واغفلت الحركات القصيرة ، واصوات المد

---

1) فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد جاء الانباط ،كقبائل بدوية ، من الموضع الذي يعرف باسم ما وراء الاردن ، وجعلوا عاصمتهم البتراء ، وهي فى العبرية سلع ، وفى العربية الرقيم ، واسمها الحديث وادي موسى . وكان الانباط يتكلمون اللغة العربية ، ويستخدمون الحروف الآرامية ، وبلغت البتراء اقصى درجات الغنى والرخاء فى القرن الاول الميلادي ، وكان الانباط يكونون حلقة هامة فى السلسلة التجارية التي كانت عاملا فى ازدهار بلاد العرب الجنوبية ، وبعد القرن الاول الميلادي فقدت مزايا المركز الممتاز ، واخذت دولة الانباط تتدهور . ثم انطوت تحت راية الامبراطورية الرومانية ، واختفى تاريخ البتراء بعدها لعدة قرون .

2) جبيل مدينة من اشهر مدن الفينيقيين ، ويطلق عليها فى المصادر اللاتينة اسم بيبلوس .

3) فيليب خوري حتى : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ص 84 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1949 .

4) المصدر السابق ؛ نفس الصفحة .

5) سمي المسند لان معظم حروفه خطوط تستند الى اعمدة ، وكان علماء المسلمين هم الذين انتبهوا الى هذه الظاهرة ، واطلقوا عليه هذا الاسم .

عربي حديث	جيعزي او كوشي	نبطي	سفونجيلي	كنعاني	آرامي	مصري للعامة . ديموطيقي	مصري للخاصة . هيراطيقي	مصري مقدس . هيروغليفي
ا	ለ	×ΔΘ	×•	٤	×‹	ر	×ᚠ	•𓄿
ب	ٻ	⊃	∪	٩	٩	٤	٩	𓃀
ج	ٻ	⊃	⊁	٧	٨	٢	٨	𓎛
د	٥	٦	⊃	٤	٥	٠	٦	𓂝
ه	٤ ٤	⊓	⊐	⊐	٣	٨	٣	𓉔
و	٦	٩	٥	٦	٢	٩	٢	𓅱
ز	٠	١	٠	٢	I	٢	٦	𓏭
ح	٤٠	⊓⊃	٠	⊟	⊟ B	٤	٤	𓉗
ط	٤	⊎	٠	⊕	⊕	٥	٥	𓍿
ى	٤٠	٩٩٩	٠	٤	٤	٠	٤	𓇋
ك	٤	٦	٥	٧	٧	٩	٩	𓎡
ل	٦	٦	٦	٧	٧	٧	٧٠	𓌙
م	٥ ٥	٦	٦ ٦	٤	٦	٦	٦	𓈖
ن	٠	٦	٦	٦	٦	٦	٦	𓈖
س		⊓⊓	٠	٦	٤	٠	٠	𓊃
ع	٤	٤	٤	٥	٥	٥	٥	𓂧
ف	٥ ٥	٦	٤	٦	٦	٦	٦	𓊪
ص	٥	٦	٦	٣	٣	٦	٦	𓊝
ق	٥ ٥	٦	٦	٩	٩	٩	٩	𓈎
ر	٥	٦	٦	٩	٩	٦	٦	𓂋
ش	٣ ٣	٩٣	٤	٤	٤	٦	٦	𓈙
ت	٠	⊓	×•	⊓	×†	٤	×ᚠ	•𓏏

الطويلة اغفالا تاما ، وكانت مجردة من الاعجام . وبعض حروفها يستخدم للرمز الى اكثر من صوت واحد .

لدينا عدد من النقوش يمثل تطور الخط العربي الذي نكتب به الآن في مراحله المختلفة ، منذ كان تقليدا للخط النبطي ، أو هو الخط النبطي محورا ، الى ان استقام فنا قائما بذاته ، له اصوله وقواعده واساتذته والوانه على النحو الذي يعرف به اليوم . وخارج عن موضوعنا ان نعرض لكل هذه النقوش ، فلذلك موضعه من الدراسات السامية ، وانما يعنينا أن نشير الى بعض منها ، بما فيها الخط النبطي ، لتعين على تصور مراحل تدرج الخط العربي .

فقد عثر في أم الجمال ، جنوب حوران ، من اعمال شرقي الاردن ، على نقش من ثلاثة سطور ، آرامي اللغة ، نبطي الخط ، وصورته :

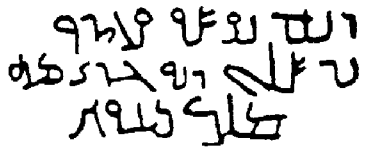

وكلماته في حروف عربية حديثة هي :

1 — دنه نفسو قهرو .
2 — بر سلى ربو جذيمت .
3 — ملك تنوخ .

وترجمته الى اللغة العربية :

1 — هذا قبر (1) قهر .
2 — ابن سلى مربى جذيمة .
3 — ملك تنوخ .

وقد وجد النقش بلا تاريخ ، ويرجح المستشرق الالماني انوليتمان Enno Littman والكونت ذي فوجويه De Vogûé انه يرجع الى عام 270 م ، ويميل ليتمان الى ان كاتب النقش عربي يعرف الآرامية ، لانه وضع اسماء الاعلام العربية في قالب آرامي بزيادة حرف الواو في كلمات : نفس وقهر ومربى . ويرى أن حرف الواو الزائد وضع لينوب عن التنوين في حالة الرفع ، ولعل كاتب هذا النقش اراد باثبات الواو ان يدل القارىء على النطق الصحيح للكلمة . ويضم النص حروفا غير مرتبط بعضها ببعض ، مثل حرف السين من كلمة « نفسو » في السطر الاول ، والياء من كلمة « جذيمت » في آخر السطر الثاني ، أما كلمتا « سلى » و « ملك » فرسمهما قريب جدا من رسمهما العربي الاسلامي .

ويليه نقش « النمارة » ، وقد عثر عليه ديسو Dussaud وماكلر Macler عام 1901 م ، على بعد كيلو متر واحد من النمارة القائمة على انقاض مخفر روماني قديم شرقي جبل الدروز ، على مقربة من دمشق ، واطلق عليه اسمها ، وكتب تخليدا لذكرى الملك امرىء

1) كلمة نفس تعني قبرا في اللغة العربية البائدة .

القيس بن عمرو المتوفى عام 328م ، وكان ملكا على الحيرة وامتد نفوذه حتى بادية الشام ، ويحمل تاريخ سنة 223 من سقوط سلع ، وهي توافق تاريخ وفاة الملك ، وصورة النقش :

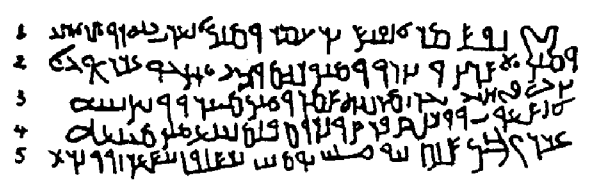

وكلماته في حروف عربية :

1 — تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج .

2 — وملك الاسدين ونزرا وملوكهم وهرب مذحجوا عكدى وجا .

3 — بزجى فى حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

4 — الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

5 — عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده .

وترجمته الى العربية :

1 — هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج .

2 — وملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهرب مذحـــج بقوته وجاء

3 — الى نزجى فى حبج نجران مدينة شمر ، وملك معدا وانزل بنيه

4 — الشعوب . ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

5 — فى القوة . هلك سنة 223 يوم 7 كسلول (1) ، ليسعد الذين ولدهم .

والنقش ، كما ترى من صورته ، مدون بالرسم النبطي المتصل الحروف ، ويشتد وجه الشبه بينه وبين الرسم العربي فى أول مراحله ، ويشتمل على جمـــل كثيرة تتفق كل الاتفاق مع اللغة العربية الباقية ، مثل : « فلم يبلغ ملك مبلغه » و « نزل بنيه الشعوب » و « ملك العرب كلها » و « هلك سنة » ، ويمكن القول أن هذه الجمل اقدم ما وصلنا مدونا من الاسلـــوب العربي الذي جاء فيه الادب الجاهلي . وكان الرايفيه انه كتب باللغة الآرامية ، ويضم بعضا من الكلمـات العربية ، ولكن كثرة هذه الكلمات ، واتفاقها مع العربية الباقية ، جعل المستشرق انوليتمان يرى العكس ، ويقرر أنه نقش عربي مكتوب بالقلم النبطي ، ويشتمل على بعض الالفاظ الآرامية ، واكثر كلماته تبدو واضحة يستطيع أن يتبينها اي قارىء مثقف معاصر مع شيء من التأمل ، ففي السطر الاول : نفس مر القيس بن عمر ملك العرب . وفى الثاني : وملك الاسدين ونـــزروا وملوكهم ... وفى الثالث : ... مدينة شمر وملك معد (2) . وفى الرابع : الشعوب ... فلم يبلغ ملك مبلغه . وفى الخامس : عكدي ، هلك سنة ... يوم ...

ثم عثر على نقشين هامين أحدث تاريخا من نقش « النمارة » ، ويمثلان فى تاريخ الخط العربي تطـــورا اكثر تقدما ، فرسمهما مستقل عن الرسم النبطي ، او قطع مرحلة هامة فى طريق الاستقلال عنه . وفيهمـــا تقترب صورة الحرف من الصورة التي نستخدمها الآن، ولا يجد المرء صعوبة كبيرة فى قراءة كلماته ، وقـــد اكتشف الاول منهما الاثري ساخو Sachau عام 1879 ، واطلق عليه نقش « زبد » ، اسم مدينة خربة بـــين تنسرين ونهر الفرات ، فى الجنوب الشرقي من مدينة حلب ، ووجد على احد ابواب المعابد المقامة للقديس سرج ، ويرجع تاريخه الى عام 512 م ، وهو مدون فى ثلاث لغات : العربية القديمة ، والسريانية واليونانية، وصورة ما بقي من الكتابة العربية هي :

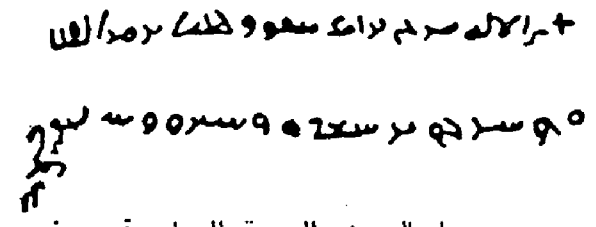

ورسمها بالحروف العربية المعاصرة هو :

1 — م الاله سرجو بر امت منفو وهنىء بر مر القيس .

2 — و سرجو بر سعدو وسترو و (شر) يحو بتميمي .

---

1) كسلول : كانون الاول .

2) التبس الامر على الدكتور ناصر الدين الاسد فى تفسيره كلمات النقش ، فجعل سطوره اربعة وهي خمسة ، واسقط السطر الثالث تماما ، وفسر كلمات السطر الرابع على انه الثالث ، والخامس على انه الرابع . انظر : « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » ، ص 28 و 29 .

ويشتمل النص على اسماء اعلام عربية يظن انها اسماء الذين اشتركوا فى بناء الكنيسة ، ويرى المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere ان النص العربي ربما اضيف الى النقش فى زمن متأخر لانه ليس ترجمة للنص السرياني اليوناني ، وسائر كلمات النقش ، كما يبدو من الصورة ، عربية الخط ، على اختلاف العلماء فى قراءتها .

والنقش الثاني احدث من نقش « زبد » بأكثر من نصف قرن تقريبا ، وعثر عليه العالم فتزتين Wetztein فى حوران اللجا الواقعة جنوب دمشق ، شمال غربي جبل الدروز ، عام 1864 ، ومكتوب باللغتين اليونانية والعربية ، ووصل الينا قسمه العربي سليما كامل الكلمات ، وهو نصب تذكاري اقيم حسب عبارة النص اليوناني للقديس يوحنا المعمدان، ويحمل تاريخ عام 463 حسب تقويم بصري ، او ما يعادل 568 للميلاد ، وصورته :

وكلماته فى الرسم العربي الحديث :

1 — انا شرحيل بن ظلموا (= ظالم) بنيت ذا المرطول (= الكنيسة) .
2 — سنت 463 بعد مفسد .
3 — خيبر
4 — بعم (= بعام) (1) .

وهذا النقش هو اول نص جاهلي عربي كامل فى كل كلماته ، وبه اصبح بين ايدينا نموذج لطريقة كتابية تكونت نهائيا ، ولا تختلف عن بقية النقوش التي سنعثر عليها فيما بعد الهجرة الا فى اشياء قليلة مردها الى المواد المستعملة ، او مهارة النقاش .

اما اقدم كتابة اسلامية وصلت الينا ، فنصب على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خير ، وعثر عليه فى الفسطاط . ويعود تاريخه الى 31 للهجرة (= 652 م) ويوجد فى متحف الآثار الاسلامية بالقاهرة ، وهو النقش الوحيد الذي بين ايدينا من هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكتابة العربية . وذكر الدكتور ناصر الدين الاسد أن « الدكتور محمد حميد الله عثر على عدة نقوش على قمة الطرف الجنوبي لجبل سلع ، فى المدينة المنورة ، خارج سورها الشمالي ، ويرجح — اى الدكتور حميد الله — ان هذه النقوش ترجع فى تاريخها الى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة » . لكن الدكتور ناصر الاسد اكتفى بهذه الاشارة ، دون ان يورد نص هذه النقوش او صورتها ؛ واحالنا على المصدر الذي اعتمد عليه ، وهو مجلة الثقافة الاسلامية Islamic Culture وهي ليست بين يدي ، ولا فى مكنتي الآن ، لارجع اليها (2)

وصورة النقش فيما يلي :

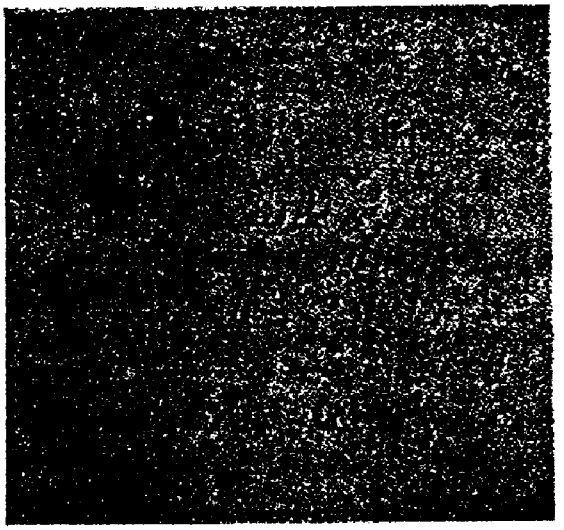

ونصه :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
2 — لعبد الرحمن بن خير الحجازي اللهم اغفر له (3)

---

1) كان ليتمان اول من فك رموز (مفسد خيبر بعام) ، وكانت قبله مبهمة ، ويرى انها تشير الى غزوة احد امراء بني غسان لخيبر ، ويستدل بفقرة جاءت فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة : « ثم ملك بعده الحارث بن ابي شمر ... وكان غزا خيبر فسبى من اهلها ، ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام » .
2) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 32 .
3) يلاحظ ان الكلمات مجرد من الاعجام ، والرمز الى اصوات المد الطويلة ، ولذلك قرئت على اوجه كثيرة . فقرا فيت G. Wiet الكلمة الرابعة « خير » ، وقراها ولفنسون « جبر » ويرى ليتمان انها يمكن ان تقرا « جابر » او « جبار » او « جبير » . وقرا فيت الكلمة الخامسة « الحجري » وآثر ولفنسون « الحجازي » .

3 — وادخله فى رحمة منك وآتنا معه
4 — استغفر له اذا قرا هذا الكتاب
5 — وقل آمين وكتب هذا
6 — لكتب (الكتاب) فى جمدى (جمادى) الا
7 — خر من سنت احدى و
8 — ثلثين (ثلاثين) .

ويلاحظ أن التأثير الاسلامي واضح فى النقش ، وبعض كلماته مقتبس من القرآن . ولدينا نقشان آخران يرجعان الى هذا القرن ، اولهما عثر عليه فى قبة الصخرة ببيت المقدس ، ويرجع الى عام 72 هـ = 691 م ، والثاني نقوش قصر برقة ، وتحمل تاريخ 81 هـ = 700 م .

لكن كتابة النقوش لها طريقتها ، والكتابةالعادية لمتطلبات الحياة اليومية ، أو تسجيل الوثائق الادبية، لها طريقة اكثر بساطة ، واشد اناقة ، واقدم ما لدينا منها ثلاث رسائل بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، والى المنذر ابن ساوى ، والى النجاشي فى الحبشة ، وقد عثر على ما يظن انه الاصول الحقيقية لهذه الرسائل ، ومهما يكن الراي فى اصالتها ، فجانب الرسم منها يصور ، دون ريب طريقة كتابة الرسائل فى القرن الاول الهجري .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى المقوقس ، عظيم القبط فى مصر ، مع حاطب بن ابي بلتعة ، سنة ست من الهجرة ، وزعم بعض المستشرقين أنهم وجدوا النسخة الاصلية للكتاب فى الصعيد (1) ، وصورتها :

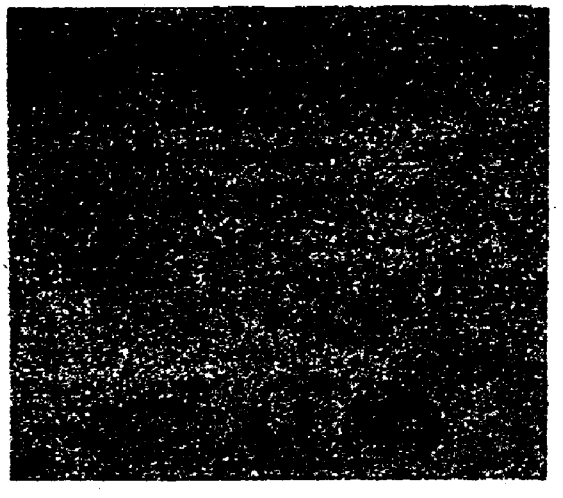

ونصها :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
2 — سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
3 — من اتبع الهدى اما بعد فاني
4 — ادعوك بدعاية الاسلام اسلم
5 — تسلم يؤتك الله اجرك مرتين
6 — فان توليت فعليك اثم كل القبط
7 — يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
8 — سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
9 — ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
10 — بعضا اربابا من دون الله فان
11 — تولوا فقولوا اشهدوا بانا مس
12 — سلمون .

وارسل الثانية الى المنذر بن ساوى العبدى صاحب البحرين ، حملها اليه العلاء بن الحضرمي ، وكتبت اليه ردا على رسالة منه الى الرسول عند ما دعاه الى الاسلام وصورتها :

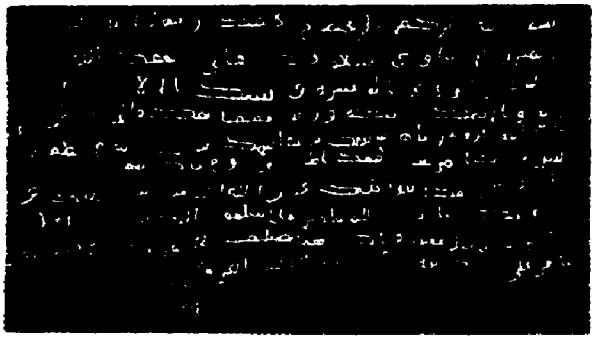

ونصها :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
2 — المنذر بن ساوى سلام عليك فاني احمد الله
3 — اليك الذي لا اله غيره ، واشهد أن لا اله الا
4 — الله وان محمدا نبيه ورسوله اما بعد فاني اذكرك
5 — الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع
6 — رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي
7 — وان رسلى قد اثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى

1) راجع مجلة الهلال ، سنة 13 ، ص 103 و 160.

8 ــ قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل

9 ــ الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن

10 ــ اقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

ولم يتيسر لي رؤية اصل الرسالة الموجهة الى نجاشي الحبشة ، أو صورة لها ، ولو أن نصها موجود في معظم المصادر التاريخية ، ويلاحظ ان التشابه كبير ودقيق بين رسم هاتين الرسالتين ، وبين الرسم الذي كتب فيه النقش الذي عثر عليه في الفسطاط .

وثمة مجموعة من أوراق البردي ، يرجع اقدمها الى عام 40 للهجرة = 660 للميلاد ، عثر عليها في مكان قريب من اهرام سقارة ، وفي الفيوم واخميم والاشمونين والبهنسا وميت رهينة وادفو ؛ ووجد بعضها متلاصقا متماسكا متحجرا ، مطموسا بالتراب ، ووصل بعضها الآخر ممزقا كله أو بعضه لرطوبة الارض ، أو بفعل النيران ، ووجدت محفوظة في جرار من فخار أو سلال، أو ملفوفة في أدراج صغيرة ، مربوطة وعليها طابع المؤلف وخاتمه وتسرب معظمها الى مكتبات ومتاحف فيينا وبرلين وباريس ولندن . وقسم منها مكتوب باللغة اليونانية ، والقسم الآخر مكتوب باللغة العربية ، وقام بنشر هذا القسم الاخير أدولف جروهمان Adolf Grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعة الالمانية في براج ، واهمية هذه الوثائق من الناحية الادبية محدودة للغاية أو معدومة ، لان جلها عقود ووثائق تتصل بحياة الناس اليومية من بيع وشراء ، ولكنها ذات اهمية بالغة في التاريخ لتطور الخط العربي ، وبخاصة في مراحله الاسلامية المبكرة ، قبل أن تصبح الثقافة أمرا شائعا والخط فنا يهوى ويدرس ويعلم .

تدل هذه الوثائق على وجود كتابة منذ الفتح الاسلامي ، ذات اشكال مستديرة تختلف تماما عن الكتابة الكوفية الموجودة على المباني والنقود ونسخ القرآن القديمة . وازاء هذا الواقع دعا المستشرق سلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy الى اعادة النظر من جديد في الرأي القائل بأن الخط الكوفي سابق للكتابة العادية السريعة ، والتي عرفت بالنسخي ، لان استخدام هذا يظهر في أوراق البردي ، في الوقت الذي كتب فيه بالكوفي على المسلات والمباني . والحق أن هذا القول يصدق على كتابات القرن الاول الهجري السابع الميلادي ، أما كتابات القرن السادس الميلادي ، القرن الذي سبق مولد الاسلام ، فمن الصعب تأكيد هذه الحقيقة أو انكارها ، لاننا لا نملك من هذا العصر سوى نقوش قصب ، وليس بين أيدينا نموذج واحد للكتابة العادية التي تؤدي اغراضا عاجلة ، وتخط على ما كان يكتب عليه في تلك الحقبة من الزمن (1) . وتفسير هذا التباين باختلاف المواد المستعملة للكتابة عليها لا قيمة له لان الكتابة العادية سرعان ما حلت ، فيما بعد ، محل الكتابة الكوفية حتى على الحجر (2) .

ويعتقد برجيه Berger ان التباين بين الخط الكوفي والخط النسخي يعود الى اسباب جغرافية ، فالكوفي كان يكتب في بلاد العرب وسواحل سورية ، أما النسخي فكان مستعملا في مصر ، التي ظلت بعيدة عن التأثيرات السريانية فاحتفظت بحرية تصرفها ، وانها لتبدو كأنها الوارث الوحيد للانباط (3) . وقد حاول بلاشير ان يجرد هذه النظرية من قيمتها ، وان يرد التباين الى الاستعمال نفسه ، فالكتابة العادية السريعة (النسخي) هي المستخدمة في الاغراض العاجلة والمراسلات والعقود الرسمية او الخاصة ، والكوفية مخصصة للنقوش وحفظ النصوص الدينية ، واستدل على ذلك باستخدام الخط الكوفي في نقش الفسطاط (4) . والواقع أن الخط الذي كتب به نقش الفسطاط ليس كوفيا ، بل هو الى الخط النسخي اقرب ، وان يكن في صورة ساذجة غير متقنة (5) .

وبالجملة فان الخط العربي ، كما يرى برجيه « تولد تدريجيا ، بعد ان مر بمراحل عديدة من التطور الوئيد ، من كتابة السكان الذين كانوا يحتلون شمال شبه الجزيرة في القرون الاولى للميلاد » .

(1) Blachère, Régis : Histoire de la Littérature Arabe des Origines à la fin du XV^{e} siècle de J.-C., vol. I, 60 sqq., Paris, 1952.
(2) Février, J. : Histoire de l'Ecriture. Vol. I, 263, Paris, 1949.
(3) Berger, Ph. : Histoire de l'Ecriture. Vol. I, 291, 293. Paris, 1891.
(4) Blachère : Histoire de la Littérature Arabe, Vol. I, 63.
(5) انظر ص 50 .

وخضع هذا التطور لنفس القانون الذي خضعت له كل الكتابات التي اشتقت من الكتابة الآرامية ، لقد كان تغيرا تدريجيا « أجد به ودفعه فى تيار الاستعمال طريقة الوصل بين الحروف التي نرى تطبيقاتها الاولية فى نقوش تدمر وحوران » (1) لقد تولد الشكل الكوفى من السطرنجلي ؛ واشتق هذا من السرياني ، وكان مستخدما عند النصارى اليعقوبيين فى العراق ، بينما اشتق النسخي (أو الحجازي) من الخط النبطي ، وكان يستخدم فى المنطقة بين حوران والحجر (حديثا مدائن صالح) ، وفى أواخر القرن السادس كان مستخدما فى دومة الجندل (الجوف الحالي شرقي نجد) وفى الحجاز ، وبحكم المركز التجاري الهام الذي احتلته مكة فى الجزيرة العربية فى هذا القرن وقبله ، فمن المحتمل ان هذا الخط كان اكثر انتشارا مما نظن . ويمكن أن نوجز تطور الخط العربي فى الرسم التالي :

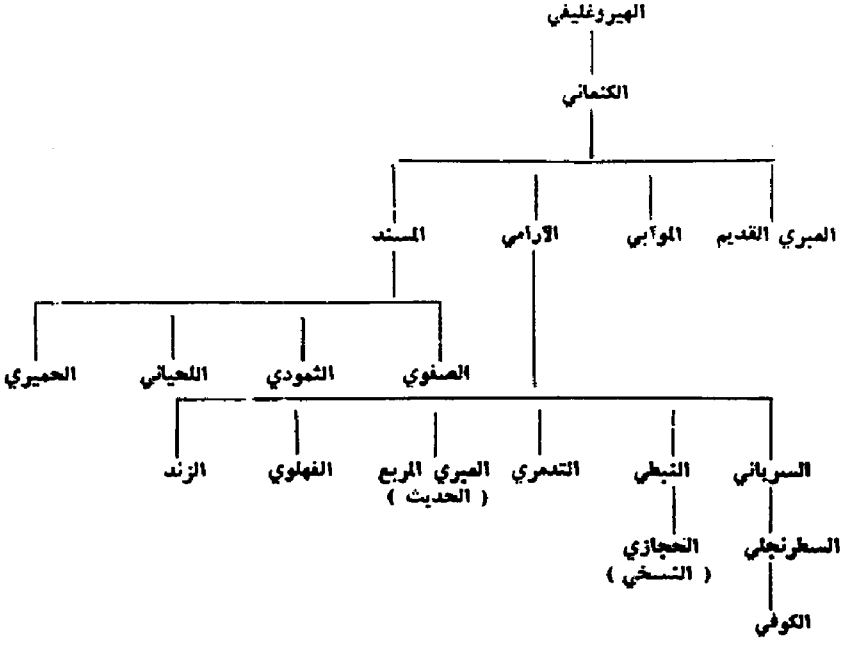

ويلاحظ فى هذه النقوش ، وكتابات صدر الاسلام، انها خالية من النقط والاعجام خلوا كاملا ، وهي ظاهرة تشترك فيها كل الابجديات السامية القديمة ، باستثناء الابجدية الحبشية . ويراد بالاعجام تمييز الحروف المتشابهة ، وبالنقط ، أو الشكل ، وضع علامات تدل على حركات الحروف ، قصيرة أو طويلة ، وفى عصور تالية لصدر الاسلام ، نجد من يستخدم النقط بمعنى الاعجام أحيانا .

واول محاولة للنقط كان دافعها وهدفها ، كبقية العلوم الاخرى ، الحفاظ على دقة ضبط الفاظ القرآن الكريم ، ولما كان الناس يقرأون فى مصاحف عثمان رحمه الله وهي غير منقوطة ولا معجمة فيخطئون القراءة ، فكلمة « نتلو » قراها حفص بن سليمان بن المغيرة « تبلو » وقراها عبد الله بن مسعود « نتلو » وكلمة «سسا» قراها حفص «تثبيتا» وقراها مجاهد بن جبر « تبيينا » . والآية « جعل السقية (السقاية) فى رحل أخيه» قراها رجل « جعل السفينة فى رجل أخيه»، وأمثلة أخرى كثيرة ، وقف عليها حمزة الاصفهاني مؤلفا كاملا هو « التنبيه على حدوث التصحيف »(2) . ويروي المؤرخون أن أبا الاسود الدؤلي المتوفى عام 69 هـ = 688 م جزع للامر ، ودخل على زياد بن ابيه وهو والى العراقين ، فقال له : « أصلح الله الامير ! اني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم ففسدت السنتهم . أفتأذن لي أن أضع لهم ما يقيمون به كلامهم ؟» فأبى عليه زياد ذلك ، ثم عاد فأمره بما نهاه عنه ، لانه

(1) M. de Vogüé : Syrie Centrale, p. 12, Paris.

2) مخطوط بمكتبة البرلمان بطهران — ايران ، تحت رقم 282 .

سمع اللحن بأذنه من رجل دخل عليه يقول : « أصلح الله الامير . توفى أبانا وترك بنون ... » فوضع أبو الاسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر والرفع والنصب والجزم ، وأخذ كلما سمع لحنة وضع القاعدة التي تصلحها (1) ثم وضع أول قواعد النقط : نقطة أعلى الحرف للفتحة، وبين يديه للضمة ، وتحته للكسرة ، وللتنوين نقطتان، ولم يضع علامة للسكون ، واعتبر اهماله علامة عليه.

ويبدو ان صنيع ابي الاسود الدؤلي لم يكن كافيا، فلم يوقف موجة اللحن والخطأ الفاشية. فكثر التصحيف وانتشر بالعراق ، بعد أن غبرالناس يقرأون فيمصاحف عثمان نيفا واربعين سنة ، الى ايام عبد الملك بن مروان ، وادرك الحجاج ذلك واعيا خطره « وفزع الى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : ان نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط افرادا وازواجا ، وخالف بين اماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا ، فكان التصحيف مع استعمال النقط ايضا يقع ، فأحدثوا الاعجام ، فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » . اورد هذا النص أبو احمد العسكرى فى كتابه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » ، وليس فيه ما يناقض الرواية الاولى ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الاسود الدؤلي هو الذي بدا الفكرة ، ثم جاء نصر بن عاصم فاتمم ناقصها ، واكمل قواعدها ، وزاد على سابقه الاعجام . ويدعم هذا الراي عندي انا ابا الاسود جعل نقطه بمداد مخالف لما كتب به القرآن تحرزا ، ووضع نصر بن عاصم ، ومن بعده يحيى يعمر ، نقط الاعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط استاذهما ابى الاسود . وقد انتشرت تلك الطريقة واضاف اليها الناس علامة التنوين فكانت نقطتين الواحدة فوق الاخرى ، وزاد اهل المدينة التشديد فجعلوها قوسين يجعلان فوق المشدد المفتوح ، وتحت المكسور ، وعن يسار المضموم ، ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس ، والكسرة تحت حدبته والضمة على شماله ، ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة ، وابقوه على اصله مع الفتحة . وزاد أهل البصرة السكون فجعلوه جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه هكذا (ـــ) .

ظل الناس يكتبون على طريقة ابي الاسود ، ونصر بن عاصم ، طوال الدولة الاموية وصدر دولة بني العباس ، وفى الاندلس حتى أواسط القرن العاشر الميلادي ، فلما شاعت الثقافة ، واستكثر الناس من نقط الحروف واعجامها لتسهيل التعليم اشتبهت نقط الاعجام بنقط الشكل ، فاخترع الخليل بن أحمد المتوفى 170 هـ = 786 م الشكل الذي نستعمله الآن ، فجعل الضمة واوا صغيرة تخط فوق الحرف ، والفتحة الفا مستعرضة تكتب أعلاه ، والكسرة ياء راجعة ترسم تحته ، والشدة راس شين مختزلة من « لفظ تشديد » ، والسكون راس خاء مختزلة من لفظ « تخفيف » ، وهمزة القطع راس عين مختزلة من لفظ « قطع » ، وهمزة الوصل راس صاد مختزلة من لفظ « وصل » (2) .

هل كان النقط والاعجام موجودين فيما قبل القرن الاول الهجري ، أو بمعنى ادق قبل أن يبتدع أبو الاسود الدؤلي اولهما ، ونصر بن عاصم ثانيهما ؟ سؤال ليس من السهل الاجابة عليه نفيا أو اثباتا فى بساطة . لان النقوش التي لدينا ، جاهلية أو من آثار النصف الاول للقرن الاول الهجري ، غير منقوطة ولا معجمة ، ولا تحمل اية علامات لاصوات المد قصيرة أو طويلة ، ولو ان النقوش العربية التي دونت بالخط النبطي ، واشرنا اليها من قبل ، تحمل بعض كلماتها اصوات المد الطويلة ، وبخاصة الواو والياء ، مثل كلمة « الشعوب » فى نقش النمارة (3) و « شرحيل »

---

1) لا تزال أولية النحو العربى مجهولة لم تدرس بعد؛ ولا اتصور ان الامر تم بالبساطة التي تذكرها المصادر الاولى ، وكلها تقرر ان ابا الاسود الدؤلي وضعه من ذات نفسه وانشائه او باشارة من الامام علي رضي الله عنه ، واية دراسة جادة فيما ارى ، لابد أن تدرس النحو العربي مقارنا بنحو بقية اللغات السامية الاخرى ، وسوف تلقى هذه من الضوءما يساعد على تكوين راي علمي فيما يتصل بنشأة النحو العربي ومراحل تطوره .

2) جانب الدكتور علي عبد الواحد وافى الصواب حين زعم فى كتابه : فقه اللغة ص 175 ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1369 هـ = 1950 م ، أن مؤرخي العرب ينسبون اختراع هذه الطريقة الى ابي الاسود الدؤلي ، والحق ان النقط كان من صنعه ؛ اما طريقة الرسم هذه فمن عمل الخليل بن أحمد ، ولم يقل أحد منهم ان ابا الاسود هو الذي ابتدعها

3) راجع ص 45 .

و «المرطول» فى نقش « حران » (1) وأما الالف فأول ما نلقاها مكتوبة فى الرسائل النبوية الى المقوقس والمنذر بن ساوى (2) ، ولا نجد لاصوات المد القصيرة أية اشارة من اي لون فى اي نقش جاهلي ، ولم تصلنا كتابة جاهلية على رق أو بردي .

أما بعد الاسلام ، وقبل أبي الاسود الدؤلي ، فيذكر الدكتور ناصر الاسد ، نقلا عن الدكتور ادولف جروهمان ، أن ثمة بردية يرجع تاريخها الى عام 22 للهجرة ، على عهد عمر بن الخطاب ، وهي مكتوبة باللغتين العربية واليونانية ، وأن بعض حروفها منقوط معجم ، وهي حروف : الخاء والذال والزاي والشين والنون . ويذكر ، نقلا عن ج . س . مايلز G. C. Miles أن نقشا وجد بقرب الطائف يرجع تاريخه الى سنة 58 هجرية، على عهد معاوية بن أبي سفيان، وأن أكثر حروفه التى تحتاج الى نقط منقوطة معجمة (3) .

لم يتيسر لي الاطلاع على البردية التي أوردها جروهمان ، ولا أكاد أطمئن اليها ، لان الرسائل النبوية كتبت قبلها بما لا يزيد على خمسة عشر عاما ، وانفق فيها الكتاب كل جهدهم فنا وتجويدا ، لانها موجهة من رسول الى ملوك وأمراء ، ويراد لها ، لكي تؤدي رسالتها كاملة ، أن تكون واضحة الخط ، كاملة الرسم، سهلة القراءة ، لا تحمل اعجاما . وأن مصحف عثمان، وقد كتب بعد هذه الوثيقة بثمانية أعوام ، كان خاليا منه ، وما كان احوجه اليه ، فمن أجل الحفاظ على نصه فكر العلماء فى النقط والاعجام . ووجود نقش وحيد بعض حروفه معجمة ، ويرجع الى فترة لدينا منها نقوش أخرى غير معجمة ، لا يكفي لتأصيل قاعدة وتقرير حقيقة ، فربما أضيف اليه الاعجام فيما بعد ، عندما أصبح أمرا شائعا فى كتابة النصوص والوثائق.

لم يتعود الناس النقط ، أو الضبط بمعنى أدق ، الا بعد فترة طويلة ، حين شاعت العامية ، وكثر اللحن . أما الاعجام فلدينا وثيقة ترجع الى سنة احدى وتسعين هجرية ، لم يعجم الكاتب منها على طولها النسبي غير كلمتين ، الكلمة الاولى من السطر الثاني عشر « يشتكيك » ، والكلمة الاولى من السطر الاخير « سنه » ، ظنا منه ان ترك اعجامهما يترك القارىء فى لبس ، وصورة الرسالة فى الصفحة المقابلة ، ونصها :

. . . . . فادفع اليه ما كان
أما بعد فان هشام بن عمر | له بأرضك من جاليته
كتب الي يذكر | ولا أعرفن ما رددت
جالية له بأرضك | رسله أو كتب الى
وقد تقدمت الى | يشتكيك والسلام
العمال وكتبت اليهم | على من اتبع الهدى وكتب
الا يؤوا جاليا فاذا | يزيد فى جمادى الآخرة
جاءك كتابي هذا | سنة احدى وتسعين

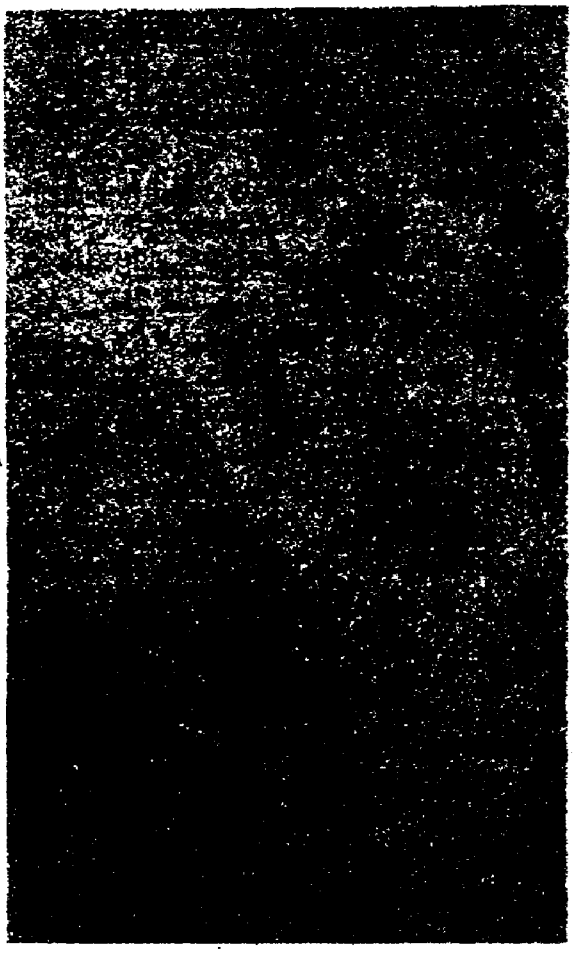

1) راجع ص 44
2) راجع ص 52 ، 53 .
3) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 . والمصدران اللذان نقل عنهما هما :
(1) Adolf Grohmann: From the World of Islamic Papyri, pl. II (a).
وصورة البردية ووصفها ونصها مع ترجمتها فى ص 113 — 114 . ثم انظر ص 82 من نفس الكتاب .
(2) G. C. Miles: Early Islamic Inscriptions Near Taif in the Hijaz, JNES, 7 (1948).
وصورة النقش هناك رقم 18 .

ولكني اشارك الدكتور ناصر الاسد رايه ، في ان عدم وجود الاعجام ـ والنقط لم يكن موجودا قطعا ـ فيما بين ايدينا من نقوش جاهلية ، لا يعني بالضرورة ان الاعجام لم يكن معروفا ولا مستعملا ، فربما كان ذلك « ناجما عن اطمئنان الكاتب الى ان كلماته هذه المنقوشة في نجاة من التصحيف والخلط في القراءة ، لانها اسماء اعلام ، وسنوات ، وكلمات بينهما من اليسير معرفتها وربما كان مما يسوغ له اهمال النقط فوق ذلك صعوبة فنية ومشقة عملية في النقش » .

وفي عرض الدكتور الاسد للمشكلة خلط بين لفظي « النقط » و « الاعجام » ، فأورد كلمتي « منقوط معجم » و « منقوطة معجمة » (1) ، مما يوقع الدارس في حيرة ، لان النقط يعنى به رسم اصوات المد والسكون ، لضبط نطق الكلمات ، على حين ان الاعجام يعنى به النقط الذي يفرق بين الاحرف المتشابهة ، والقول بجريانه فيهما على الترادف لا يزيل الشبهة ، لانه جاء بهما معا ، ولو استخدم احدهما دون الآخر لكان له في الترادف مندوحة .

ومنذ العصر العباسي اخذ الخط الكوفي يتنوع حتى اربى على خمسين نوعا ، من اشهرها : المحرر ، والمشجر ، والمربع ، والمدور ، والمتدخل . وبقي الخط الكوفي مستعملا في المباني والسكة الى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، ثم نسي جملة ، حتى عاد اليه الفنانون في عصرنا الحديث ، يحيون دارسه فيما يكتبون على جدر المباني زخرفة ، او يخطون من عناوين الكتب تجميلا .

اما خط الرسائل فكان لونا مستنبطا من الخط الكوفي والحجازي ، ابتدعه قطبة بن المحرر في اواخر الدولة الاموية ، فاخترع خط « الجليل » الذي يكتب به على المباني ونحوها ، وتوجد نماذج متعددة على جدران مساجد القاهرة ومدارسها واربطتها وسبلها وخرائب قصورها . ثم « الطومار » وهو اصغر من « الجليل » ، وكانت تكتب به اسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود . وفي العصر العباسي ولد ابراهيم الشجري قلم الثلثين (اي ثلثي الطومار) ، واخترع من الثلثين آخر سماه « الثلث » . وولد يوسف اخوه من «الجليل» القلم الرياسي، وسمي كذلك لانه اعجب ذا الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، فأمر ان تحرر به الرسائل السلطانية ، ولا تكتب بغيره ، ثم عرف فيما بعد بقلم التوقيع .

واخترع الاحول المحرر قلم « النصف » ، « وخفيف الثلث » ، وقلما ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره وسماه « المسلسل » ، وكانت تكتب به عامة الرسائل ، وغبار « الحلبة » وكان يكتب به في بطائق الحمام الزاجل والرقاع وغيرها .

ثم جاء الوزير ابو علي محمد بن مقلة (2) ، واخوه ابو عبد الله الحسن ، المتوفى 338 هـ = 949م، فتم على ايديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه، على الاشكال التي نعرفها الآن ، فضبطا الحروف ، وقدرا مقاييسها وابعادها ، واحكما ضبطها ،واخترعا له القواعد ، وعنهما انتشر الخط العربي كامل الصورة في مشارق الارض ومغاربها .

ثم اخترع الشكل الفارسي ، وكان استعماله عاما في اواسط آسيا وفارس وابدع الخطاطون الاتراك فيما لدينا من اشكال للخط العربي ، وحولوا بعض انواعه وخاصة الرقاع (الرقعة) الى ما نعرفه الآن .

---

1) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 .

2) كان ابن مقلة شيخ الخطاطين دون منازع ، تولى في بدء حياته بعض اعمال فارس ، ثم اصبح وزير الخليفة المقتدر بالله سنة 316 هـ = 927 م ، ثم كاد له اعداؤه عنده فقبض عليه سنة 318 هـ ، وصادر امواله ونفاه الى فارس . واصبح وزيرا للراضي فوشى به اعداؤه ثانية فقبض عليه وعزل وبقي معتزلا الوزارة .

وحاول ابن مقلة ان يكيد لابن رائق امير الامراء ببغداد عند هذا الخليفة المستضعف ، فوشى به الخليفة الى ابن رائق ، فقبض عليه وقطع يده اليمنى . ثم ندم الراضي على ذلك ، وامر الاطباء بملازمته الى ان برأ ، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به . وكاد له ابن رائق عندما احس بأن الخليفة يفكر في ان يوليه الوزارة ، فكانت النتيجة ان قطع لسانه ، واقام في الحبس مدة طويلة ، قاسى فيها عناء شديدا ، ولم يزل به حتى توفي عام 328 هـ = 939 م ، ومن شعره :

ما سئمت الحياة لكن وثقت ... بايمانهم فباتت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى ... حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي ... حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتي بانت يميني فبيني

وارتقوا بالمسلسل الى الغاية ، وولدوا منه خط العلامة السلطانية (الهمايوني) . وكان اشهر خطاطيهم الحافظ عثمان بن علي ، وهو نابغة الخطاطين جميعا ، واختير معلم خط للسلطان احمد خان الثاني (خليفة من 1691م الى 1695 م) ، وللسلطان مصطفى خان الثاني (خليفة من 1695 م الى 1703 م) ، وكان يجلس كل يوم احد لتعليم الفقراء الخط مجانا ، ويوم الاربعاء لتعليم الاغنياء بأجر . واشهر المصاحف واكثرها تداولا مكتوب بخطه وقد نسخ منها خمسة وعشرين ، ومقدارا كبيرا من الرقاع والالواح واجزاء القرآن ودلائل الخيرات

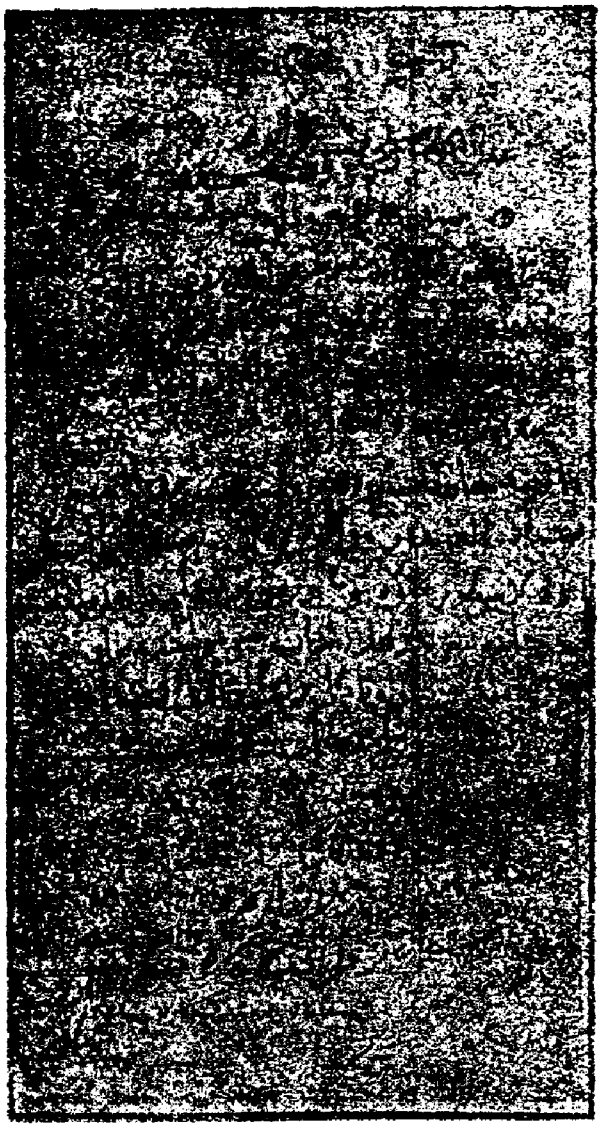

صورة وثيقة مكتوبة على ورق البردى ترجع الى عام 393 هـ

وقد أوقف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي المعروف بالقلقشندي ، نسبة الى القرية التي ولد فيها، والمتوفى عام 821 هـ = 1418 م جانبا كبيرا من الجزء الثالث من موسوعته « صبح الاعشى » على الخط العربي ، تتبع فيه نشأته واشكاله وفنونه ، وتواعده وصوره وهندسة حروفه ، وما يكتب به ، وما يكتب عليه ، وقوانين الكتابة وآدابها وطرقها . ونظم زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري ، محتسب مصر ، الفية فى صناعة الخط وسمها « العناية الربانية فى الطريقة الشعبانية .»

اما الاندلسيون والمغاربة فلم يسلكوا نهج ابن مقلة واصحابه ، فظلوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن ، مع شيء من التعديل ، وابدعوا داخل هذا الاطار فنونا منه ، وربما مال « الجليل » عندهم الى بعض قواعد « الثلث » فى أواخر عصورهم، كما يشاهد على جدران الحمراء بغرناطة . ويختلف اهل المشرق عن اهل المغرب فى ترتيب الحروف ، فهي عند أولئك : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي . وهي عند هؤلاء : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي . كما يختلف اهل المغرب عن اهل المشرق فى اعجام الفاء والقاف ، فهم ينقطون « الفاء » بنقطة من أسفلها ، والقاف بنقطة واحدة من أعلاها . وفى استخدام الشكل اللاتيني المعاصر للارقام ، وهو استخدام سابق لموجة الاستعمار الاوربي المعاصر فى العالم الاسلامي ، وليس نتيجة له. ويرى علماء المغرب ، وهم على حق ، أن صور الارقام التي يستخدمونها عربية أصيلة ، وليست منقولة عن الرسم اللاتيني ، لان أوربا لم تكن تعرف هذه الارقام، وانما تعلمتها عن العرب ، عرفها جيربرت Gerbert (930 — 1003 م) فى الاندلس حيث تلقى دراساته العالية ، واشاعها بنفوذه حين أصبح بابا الكاثوليك تحت اسم سلفستر الثاني Silvestre II عام 999 م . ويتحدث عنه المؤلفون الغربيون القدامى كمخلص للعالم المسيحي (الاوربي) من ضنك الارقام الرومانية، وحامل معجزة الصفر والنظام العشري اليها من العرب ، وهو الذي طالع أوربا بأول كتاب من نوعه فى علم الحساب بالارقام العربية ، وقد وجد فيها الاوربيون متعة لا تعوض لعظم فائدتها وبساطة تركيبها . وقد تطورت هذه الارقام فى المشرق بينما احتفظ بها المغرب ، أو طورها قليلا ، وهم يستخدمون هذه الارقام الآن فيما يكتبون او يطبعون . وسواء أكان

وقد أنبأ نبينا عليه السلام بفتح كل ما يفتح وأن يجيء رجل من بناة إلى يكمله ورجل يتزوج بامرأة ولم يدخل بها ورجل زرع زرعا ولم يحصده **وعليه** النكير في مراسة جيشه مرفهة العروق بأن يعتنى بعض المكاسر والمراجيل بتابع الطوابع على الموارد والمغاصير وتفتيش المنازل بحسب الأحوال في كل زمان ومكان وما يفعل مع أهلها إذا عفوا عنهم وإذا أكثروا من عقوبتهم ومتابعة أحوالهما أكثابا وأحرابا ويعبر مع مراسة يأمر بها عسكره في الأنعام والرحال وتعكس إليه النعوم من جمال الرعية وأخذ الأهبة والتهيئة لوقت الحاجة فيكون إذا أغاروا على المنازلة وافوا على المرابطة **وعليه** إعداد ما يحتاج إليه الجيش من زاد وعلوفة يعرف الأمير عليهم في وقت الحاجة إذا أنعزل إليهم لتعسكر نعوتهم إليه ويتقوون بما يستغنون عن حلبها فيكونوا على المحاربة أوفى وللمنازلة أقوى وأصبر **وعليه** أن يتعرف أحوال العدو ويتسمع مع الشاعات وفي كل الأحيان أخبارهم حتى يعرف ما خوالهم ومعاقلهم وأغراضهم ويتجسس في أذكاء العيون وثبت الرصد ويثق من به في استعلام بغاة العدو ويتحرز من مكرهم وخدعهم ويلتمس الغرة في المحروم عليهم أو زاد في الحرصة وتبيت لهم غفلة فإن الحزم مغرمة وإياهم الغفلة والشاغل عنه الحاصر له **وعليه** أن يتعرف أحوال الناس في عسكره ومن يحتاج منهم إلى الخروج في غارة أو معتلبة فيأذن لهم ويحرسهم الخارجين في البحر بتأمين الموتورين في بحرته وفيما حوله وورائه وعلمه بالجهات فإن أكثر ما يصاب في هذا الباب من إهمال العدو استغلال وإذا أراد المنع من الخروج مرة أو جعل كمينا من العدو فإنه يأمر بالتسوء عن الخروج حتى يخبر أميره أو وجوه جماعة تكون في المعتلبة ويكون الخروج لشيء من ذلك إذا باذن وتحت نظر أمير وجماعة كأن يركب الخيل في أعمال قد عينهم

الباب السابع في امتثال الغازي أمر إمامه وأمير عسكره وقائد جماعته

يجب على الغازي امتثال أمر إمامه أو أمير عسكره أو قائد جماعته وأن لا يخالفه في شيء من أمره ما استطاع ما لم يأمر بمعصية في عمل أو ترك في رتبة أو جبلة أو مكيدة على عدو أو نكير في بعض كليجة أو مرتبة أو رباط أو مراصة لجانب أو كمين لغارة أو تجريد عريد لشغل جهة أو جلب عين أو فرس أو غنيمة وأشباه ذلك من الأمور التي للأمير النظر فيها قال الله سبحانه وأطيعوا الله

صفحة من مخطوطة « تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس » لابن هذيل الأندلسي ، وهي مكتوبة بخط أندلسي

الرسم الاصلي هو المستعمل عندهم ، أو ما يجري عليه العمل عندنا في المشرق ، فمن الخير توحيده بين جناحي العالم العربي . فان الرسم متشابك ، يزداد كل يوم قربا ، فان الرسم المغربي للارقام وهو نفس الرسم اللاتيني ، يبدو أكثر فائدة وأعم نفعا .

يستخدم الرسم العربي في وقتنا الحاضر عند جميع الشعوب الناطقة باللغة العربية ، ما عدا أهل مالطة فلهجتهم ترسم بحروف لاتينية ، وقد اتخذته أمم اخرى لا تتكلم العربية لتدوين لغاتها ، كالفرس وسكان مدغشقر وزنجبار ، واللغة الاوردية ، وكانت تدون به اللغة التركية ، قبل أن يثور كمال اتاتورك على ماضي وطنه وتاريخه ، فالغى الرسم العربي عام 1925 ، واتخذ عوضا عنه الرسم اللاتيني . ومع نهاية دولة المسلمين في الاندلس ، واكراه المسلمين قسرا على التخلي عن عقيدتهم ولغتهم وتقاليدهم ، اخذ المسلمون المتنصرون يكتبون لغتهم الاسبانية بحروف عربية ، وخلفوا لنا بعضا من تراثهم الثقافي بها ، وكان يطلق عليهم الموريسكوس Moriscos وعلى لغتهم الخميادو Aljamiado كما ان بعض المؤلفات العربية دونت برسم غير عربي ، فدون عدد قليل منها في الاندلس بالرسم العبري ، وعدد آخر في المشرق بالرسم السرياني . وتبذل جمهورية الصومال الاسلامية جهودا كبيرة لكتابة اللغة السواحلية التي يتكلمها سكان الصومال ، وسواحل افريقيا الشرقية ، وهي لغة غير مكتوبة حتى الآن ، بحروف عربية . وهي محاولة اذا قدر لها النجاح تفتح الطريق أمام الحرف العربي الى بقية دول القارة الافريقية .

وضعية اللغة العربية والثقافة الاسلامية في المؤسسات الاسبانية الرسمية

هناك ثمانية كراسي للعربية وللثقافة الاسلامية بكليات الفلسفة والآداب في اسبانيا (مدريد ، برشلونة ، غرناطة ، سرقسطة) وتتوفر بقية كليات الفلسفة والآداب على اساتذة مكلفين بالعربية . وبلغ طلبة **الاقسام العامة** العربية في الجامعة الاسبانية في السنة الماضية حوالي الفي طالب . ويتابع نحو سبعين طالبا تخصصهم في اللغات السامية .

وهناك مراكز اخرى تدرس فيها العربية وهي : المدرسة الدبلوماسية ، والاكاديمية العسكرية العامة ، واكاديمية المشاة ويبلغ فيها المتوسط السنوي خمسة عشر تلميذا كما تتوفر مدارس التجارة على العربية كمادة وهناك مشروع لتعميم تعليم العربية بين تلاميذ التعليم الثانوي . وفي المعهد الاسباني بطنجة يوجد كرسي استاذ للعربية كما أن هناك مراكز اخرى لتعليم العربية وهي : الدراسات العربية بغرناطة (90 تلميذا) ، والمدرسة المركزية للغات في مدريد (35 تلميذا) .

اما مراكز البحث في علوم العربية في اسبانيا فتشمل مدرسة الدراسات العربية بمدريد ، ومثلها بغرناطة ، وهما تابعتان للمجلس الاعلى للابحاث العلمية وتشمل كرسي « فرنسيسكو كوديرا » بمعهد فرناندو الكاثوليكي بسرقسطة ، وكراسي العربية ومصادرها بغرناطة ومعهد الدراسات الخليفية بقرطبة ، والمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد .